فاروق جويدة بين الرومانسية و الواقعية

الدكتور علي نظري*

أستاذ مشارك بجامعة لرستان

سميه أونق

طالبة الدكتوراه – قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة لرستان

الملخّص

فاروق جويدة الشاعر و الصحافي المصري (١٩٤٦م) قد أجاد الجمع بين المذهبين المختلفين في شعره، فقصائده تتردد بين المذهبين الرومانسي و الواقعي، هو بوصفه شاعراً يصف العالم من منظر عالمه النفسي و يصوّر علاقة الإنسان بالعالم الباطن و المعنويات و الأحاسيس. و إلى جانب هذا الأمر بوصفه صحافيا ينظر إلى عالم الواقع و ما يجري فيه من القضايا السياسية و الإجتماعية و المعيشية و يصف موقع الإنسان من العالم الحاضر. فعلى هذا، اختيرت أشعار فاروق جويدة محوراً لدراسة اجتماع الرومانسية و الواقعية فيها.

قد درس المقال، المذهب الرومانسي في أشعار فاروق ضمن مضامين الحبّ، و الألم و الحزن، و الحلم و الأمل. و الواقعية قد تجلّت ضمن دعوة الشاعر إلى القيام و النهوض في البلاد الإسلامية– العربية، ووصفه ظروف الشعوب والمقاومة و الوطن، و في نهاية المطاف يصل إلى القاسم المشترك بين المذهبين و هو استخدام مظاهر الطبيعة.

الأسلوب المتّبع في هذا البحث هو الوصفي – التحليلي بالتركيز على دواوين فاروق جويدة الشعرية.

الكلمات الدليلية: فاروق جويدة، الشعر، الرومانسية، الواقعية.

---

*. E-mail: alinazary2002@yahoo.com

تأريخ الوصول: ٢٩/ ٠١/ ١٣٩١ ؛ تأريخ القبول: ١٣/ ٠٤/ ١٣٩١.

المقدمة

الرومانسية و الواقعية مذهبان يختلفان اختلافاً تامّاً فالواقعية ظهرت بعد غـــور الرومانـــسيين في عالمهم الباطني و الرؤياوي و هربهم من الواقع لكي تخوض في الواقع و تصوّر الموجود بما هو الموجود؛ فعلى هذا يبدو الجمع بين هذين التيارين في أدب أديب واحد من البعيد فكلّ أديب يتصف أدبه بلون خاصّ به من الرومانسية أو الواقعية.

و لكن فاروق جويدة قد أجاد الجمع بين هذين المختلفين في شعره دون أن يتسم شعره بالتناقض أو التكلف و هو بمزجهما مزجاً لايشمّ منه القارئ رائحة التصنع كأنه طبيعة شعره، فقصائده تتـــردد بين المذهبين الرومانسي و الواقعي، و هو بوصفه شاعراً يصف العالم من منظر عالمه النفسي و يـــصوّر علاقة الإنسان بالعالم الباطن و المعنويات و الأحاسيس. و إلى جانب هذا الأمر بوصفه صحافيا ينظر إلى عالم الواقع و مايجري فيه من القضايا السياسية و الإجتماعية و المعيشية و يصف موقع الإنسان من العالم الحاضر و يجمع الرؤيا العذبة و الواقع المرّ في شعره. فلهذا السبب اخترنا أشعار فاروق جويـــدة محوراً لدراسة اجتماع الرومانسية و الواقعية فيها.

فيما يتعلق بالدراسات المسبقة قد ألّف إبراهيم خليل إبراهيم كتاباً معنوناً بـــ «الحبّ و الوطن في شعر فاروق جويدة» (٢٠٠٨م) و قد درس فيه هذين المضمومين، و أيضاً كتبت مقالات حوله منها: «الوزير العاشق بين الشعر... المسرح» لعبدالعزيز حمودة (مجلة الجديـــد: عـــدد٢٢٥، ١٩٨١م)، و «مسرحية الوزير العاشق بين مسخ التاريخ و الإسقاط الساذج» لحامد أبو أحمد (مجلة أدب و نقـــد: عدد ١٠، ١٩٨٥م) أما بالنسبة إلى موضوع المقالة في حد بحث المحققين لم يوجـــد عمـــل مـــستقل يعترض لهذه المسألة.

فاروق جويدة و حياته

فاروق جويدة، شاعر مصري ولد عام ١٩٤٦م (جويدة: ٢٠١٢) في محافظة كفر الشيخ و قضى طفولته في محافظة البجيرة، و تخرّج من كليه الآداب بجامعة القاهرة قسم الصحافة في عـــام ١٩٦٨م و أتيح له أن يتتلمذ على يد أساتذة كبار تابعوا إنتاجه الشعري في مراحله الأولى و منهم الدكتور محمد مندور، و الدكتور شوقي ضيف. (جويده، ١٩٩١م، الوزير العاشق، ظهر الكتاب)

بدأ فاروق حياته العلمية محرراً بالقسم الإقتصادي بالأهرام في عام ١٩٦٨م ثم سكرتيراً لتحرير الأهرام في عام ١٩٧٤م. و في عام ٢٠٠٧م أشرف على الصفحة الثقافية بالجريدة و هو حاليا رئيس القسم الثقافي بالأهرام. (جويدة: ٢٠١٢)

فاروق جويدة من الشعراء المؤثرين في حركة الشعر العربي المعاصر و قد سخّر قلمه للتعبير عن ظروف المجتمع الحاضر و قضاياه المختلفة من السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية حيث أصبح شعره مرآة تصوّر العصر الحاضر بما يدور فيه من الحوادث و الوقائع. «مارس فاروق كثيراً من ألوان الشعر ابتداءً بالقصيدة العمودية و انتهاءً بالمسرح الشعري و قد لاقت آثاره نجاحاً كبيراً حيث ترجمت قصائده إلى اللغات الإنجليزية و الفرنسية و اليوغسلافية و الصينية و تناول أعماله الإبداعية عدد من الرسائل الجامعيه في الجامعات المصرية و العربية. (أدب: ٢٠١٢)

مؤلفات فاروق جويدة:

لفاروق جويده مؤلفات متعددة في عدة مجالات يمكن تصنيفها ضمن قسمين كبيرين:

١. **المؤلفات الأدبية** : و تندرج ضمنه الأقسام التالية:

أ . الديوان الشعرية:

قد اختصت الدواوين الشعرية بأعظم قسم من مؤلفات الشاعر فاروق جويدة، بالإمكان تقسيم محاور دواوين الشاعر إلى المحورين الكبيرين و هما الموضوعات الرومانسية و القضايا الوطنية (الوطن المصري و الوطن العربي) و المسائل الإجتماعية.

أما في الموضوعات الرومانسية فيتطرق الشاعر إلى الحبّ و ضياعه في العصر الحاضر و الحبيبة و الربيع و اليأس و الأمل بالمستقبل و موت النهار و الانتظار. و أما بالنسبة إلى القضايا الوطنية و الإجتماعية يخاطب الشاعر مصرا و نيلا و يتذكر مجدهما الماضي و يشكو من ظروف المجتمع المعاصر و الزمن الحالي و أيضاً يسخّر فنه للتعبير عن قضية فلسطين و القدس و لبنان.

و يمكن ترتيب الدواوين بناء على تاريخ نشرها بهذا الشكل: أوراق من حديقة أكتوبر (١٩٧٤م)- حبيبتي لا ترحلي (١٩٧٥م)- و يبقى الحب (١٩٧٧م)- و للأشواق عودة (٢٠٠٧م)- في عينيك عنواني (١٩٧٩م)- دائما أنت بقلبي (١٩٨١م)- لأني أحبك (١٩٨٢م)- شيء سيبقى بيننا (١٩٨٣م)- طاوعني قلبي في النسيان (١٩٨٦م)- لن أبيع العمر (١٩٨٩م)- زمان القهر علمني (١٩٩٠م)- كانت لنا أوطان (١٩٩١م)- آخر ليالي الحلم (١٩٩٣م)- ألف وجه للقمر

(۱۹۹۶م)- لو أننا لم نفترق (۱۹۹۸م) أعاتب فيك عمري (۲۰۰۰م) - في ليلة عشق (۲۰۰۳م)- عزفٌ منفرد (۲۰۰۳م).

بـــ. المسرحية الشعرية:

- الوزير العاشق(۱۹۸۱م) : يدور محور المسرحية حول ابن زيدون الوزير و حبيبتـــه ولّـــادة، و تخبره ولادة أنها تخشى عليه سطوة المنصب، ولهذا فهي تُريده شاعراً فقط لا وزيراً، فيرد عليها بأنه أهل للوزارة، ولولا ذلك ما اختاره الملك لهذه المرتبة التي كان يعشقها، وقضى العمر يخدمه من أجلها. هو يحب ولادة، ولكن مصير وطنه يؤرقه، ولهذا فهو يترك الشعر، ويختار الوزارة كي يُحافظ على تراب وطنه، و ليكون مؤثراً و فاعلاً و ذا رأي، ولكنه اختار أن يُحدث التغيير من خلال الـــصفوة، وعـــن طريق الحكام، وترك الشعبَ كَمًّا مهملاً.

- دماء علي ستار الكعبة (۱۹۸۷م): تصف المسرحية ظـــروف المجتمعـــات الراهنـــة و تنقـــد الحكومات.

- الخديوي (۱۹۹۴م): مسرحية سياسية احتوت قضايا مثيرة عن الدين، و السياسة و العلاقـــة بالغرب. تنبأ المسرحية بالثورة ضد الفساد الذي يعصف بمصر حسب رؤية الشاعر، منعت المـــسرحية عرضها ۱۸ عاماً بما تحتويه من أبيات تحفز على الثورة ضد الفساد حسب قراءة المانعين.

جـــ. الخواطر النثرية:

- قالت (۱۹۹۰م)- عمر من ورق (۱۹۹۷م)- ليس للحب أوان (۱۹۹۷م)

د. الرواية:

شباب في الزمن الخطأ (۱۹۹۲م)- عبدالوهاب و أوراقه الخاصة (۱۹۹۶م)

هـــ. أدب رحلات:

بلاد السحر و الخيال (۱۹۸۱م)

۲. المؤلفات غير الأدبية : و يشمل هذا القسم على الموضوعين

أ. المقالات

– قضايا ساخنة جدة (١٩٩٧م) : مجموعة مقالات قد طبعت سابقاً في مجلة الأهرام و الآن قد جمعت في كتاب.

– هوامش حرّة: مقالات تطبع يوميا في مجلة الأهرام و يتطرق الأديب فيها إلى القضايا السائدة على العالم.

بـ. الإقتصاديات:

أموال مصر كيف ضاعت (١٩٧٦م)

فضلاً عن المؤلفات المذكورة للشاعر قصائد غير منشورة توجد على موقعه الرسمي. في هذه القصائد قد تطرق الشاعر إلى ما تعاني الشعوب من الظلم و الاضطهاد و الجور و الخفقان، الشعر يظهر فيها ثوريا يهجم على الحكام الطغاة و يدعو الشعوب إلى الثورة و الصمود و الشهادة للنيل على المنشود.على جانب دواوين الشاعر المطبوعة في دراسة الموضوع خاصة في قسم الواقعية تمّ الاستناد على هذه القصائد.

فاروق جويدة رومانسيا:

فاروق جويدة في قسم من أشعاره يظهر شاعراً لطيف الذوق و رهيف الإحساس يسير في عالم الحلم و الرؤيا، يعشق حبيبتها و يعطي للحبّ دورا فعّالا في الحياة الإنسانية، و قد يغمره اليأس و التشاؤم و يتألم من هجر الشمس و موت النهار و ضياع الحب و الربيع. بهذه الأحاسيس اللطيفة يصبغ الشاعر بصبغة الرومانسية. فبعض المضامين الرومانسية قد تجلّى في أشعاره تجليا واضحاً منها:

الحبّ

من المضامين التي قد تطرق الشعراء الرومانسيون إليها في شعرهم هو الحب، فتدفق العاطفة و غليان الأحاسيس الجياشة قاداهم إلى التعبير عن الحب و ارتفاعه إلى درجة التقديس و العبادة.

و الشاعر الرومانسي فاروق جويدة قد خصّ كثيراً من قصائده بالحب و وصفه و البيان عن موقعه أمامه، فيغلب الحب على سائر المضامين الرومانسية في قصائده.

في قصيده «تحت أقدام الزمان» يشكو: «حبنا قد ماتَ طفلاً/ في رفاتِ الطفلِ/ تصرخُ مهجتانْ/ في ضريحِ الحبّ/ تبكي شمعتانْ/ هكذا نمضي .. حيارى/ تحت أقدام الزمـــانْ/ كيف نغرقُ في زمانٍ/ كل شيءٍ فيهِ/ ينضحُ بالهـــوانْ» (جويدة: ۱۹۸۲، ۲۲)

يشكو الشاعر العاشق من الزمان الذي كلّ شيء فيه يصاب بالذّلّ و الهوان، و فيه الحبّ قد مات في طفولته و هو الآن قد تبدّل إلى ميت مقدّس يزوره الشاعر في ضريحه و يسكن لديـــه، و هـــو و أصحابه دون الحبّ يعيشون حيارى.

ثم في قصيده «تسقط بيننا الأيام» يخاطب حبيبته و يقول: « و يمضي الأيامُ العام ... بعد العام ... بعد العام/ فلا أنت التي كنتِ/ و لا أنا فارسُ الأحلام/ تعالَي نشهدِ الدنيا/ بأنّ الحبّ أصـــبح فـــى مدينتنا حراما/ أنّ الصبح أصبح في مآقينا ظَلاما/ و أنّ الخوف يخنق في حناجرنا الكلام/ تعالي نـــشهد الدنيا/ بأنّ الحبّ بين الناس شيء كالخطايا» (جويدة، ۱۹۸۲، ۸۰-۸۱)

مرة أخرى يشكو الشاعر من الزمن الحاضر و من موقفه من الحب، فالحب ساقط مـــن قدســـيته فصار الحرام و العاشق في نظرة الناس مخطئ غير جدير بالاحترام. ثم ينظر إلى الحب آملا و يعتقد بأنه الحب في قدره مقدّر له و هو يوماً يلقاه:«حبيبي ... حبّنا قدرٌ/ و مهما ضاع ... نلقـــاه»(جويـــدة، ۱۹۸۲م، ۲۶)

لكنه في ديوان «دائماً أنت بقلبى» يعود إلى يأسه مرة أخرى و يتحدث عن ضـــياع الحـــب في الزمن الحاضر فيخاطب حبيبته: «لاتسأليني.../ كيف ضاع الحبّ منّا/ في طريق / يأتي إلينا الحـــبّ/ لاندري لماذا جاء/ قد يمضي/ و يتركنا رماداً من حريق .../ فالحبّ أمواجٌ ... و شطآن/ و أعشاب/ و رائحة تفوح من الغريق.» (جويدة،۱۹۸۱م، ۷۹ - ۸۰)

يقول جويده أن الحبّ غريب في زماننا، لانعرفه، هو يأتي و يذهب و لانفهم لماذا، و في قـــصيده «كانت بيننا ليلة» يتصف بالاخضرار: «وكانت بيننا ليلة نثرنا الحب فوق ربوعها العذراء فانتفضت /وصار الكون بستانا» (جويدة، ۱۹۹۶م، ۴۷)

الحب في رأيه عامل للاخضرار فيصير الكون به بستاناً. و في نهاية المطاف يصل إلى أنّ «زمـــان القهر علّمنا/ بأنّ الحبّ سلطان بلا أوطان/ و أنّ ممالك العشّاق أطلال/ و أضرحة من الحرمان/ و أنّ بحارنا صارت بلا شطآن» (جويدة، م۱۹۸۳، ۴۷- ۴۸).

فالحبّ في رأيه سلطان لا وطن له بما أنه يسلّط على كيان الإنسان و يسلب اختياره و الإنـــسان العاشق لامحل له في الزمن الراهن إذا الحب لا موقع له في عصر المدنية و المكانيزة فمملكته هو الأطلال و الدمن و العصر الماضي، و يصلب بالحرمان.

الحزن و الألم

يتلون شعر فاروق بلون الحزن و الألم و هو يصف حزنه «غنائي حزين/ ترى هل سئمتم غنائي الحزين/ و ماذا سأفعل .../ قلبي حزين/ زماني حزين/ و جدران بيتي/ تقاطيع وجهي/ بكائي و ضحكي/ حزين حزين» (جويدة، ١٩٨٣م، ١١٤- ١١٥).

هو يرى نفسه غريقاً في بحر الحزن لأن زمانه حزين، بيته لبنة لبنة بنى من الحزن و الحزن قد ترسخ في دمه و حتى ضحكاته فيها حزن و ألم.

الأحلام لدى فاروق، حزينة أيضاً:«ألم ... ألم.../ ماذا جنيت من الألم؟/ وجه كسير و ابتسامات/ كضوء الصبح يعثرها السأم .../ حلم حزين بين أطلال النهاية/ في ذبول ... يبتسم/ عمرٌ على الطرقات كالطفل اللقيط/ يسأل الأيام عن أبٍ و أمٍّ/ نهر جريح/ تترف الشطآنُ في أعماقه/ حتى سواقيه الحزينة/ مات في فمها النغم» (جويدة، ١٩٩٣م، ٤٢- ٤٣).

فالألم في رأي فاروق هو سبب الحزن و ثمرته، هو يجني الحلم الحزين من الألم. فالشاعر لايعرف النغم و الغناء بسبب آلامه، هو يبتسم ولكن ابتساماته ضعيفة و لايرى سبباً للفرح و الخروج من الحزن.

الحلم

الشاعر الرومانسي في الهروب من الواقع يلجأ إلى الأحلام و يبحث فيه عن تمنياته و آماله و فاروق الرومانسي لم يستثنِ من هذا اللون الرومانسي و في «نبي بلا معجزات» يقول: «تمنّيت قلباً / قويا جسوراً / يجيء إليك بحلم عنيد» (جويدة، ١٩٨٢م، ٩).

لايصل الشاعر إلى أيّ حلم بل يرغب في حلم عنيد لايستسلم أمام الموانع و المشاكل بل يعاندها و يقاومها حتى يتحقق.

ثم يقول: «مازال حبّك/ أمنيات حائرات في دمي/ أشتاق كالأطفال/ ألهو ... ثمّ أشعر بالدوار/ و أظلّ أحلم/ بالذي كان يوماً.../ أحمل الذكرى على صدري/ شعاعاً/ كلما اختنق نهاراً/ و الدار يخنقها السكون/ فئران حارتنا / تعربد في البيوت/ و سنابل الأحلام في يأس تموت» (جويدة، ١٩٨٢م، ٣٥).

حينما تضيق الظروف به و تصعب الحياة عليها يلوذ الشاعر إلى الماضي و ما فيه من الذكريات الجميلة و الحب. فشاعرنا الرومانسي في أصعب الظروف و حتى في تسلط الفئران على المدينة و في

موت الأحلام من شدة اليأس أيضاً لايستسلم بل يستمسك بالحلم: «عصفورنا في الـدرب مـات / يمضي علينا العمر / و الحلم الجميل / مازال في صمت يقاوم» (م ن، ۴۶).

فاروق الحالم يؤكد من جديد أنّ حلمه عنيد و لايستسلم بسهولة بل في صـمت يقـاوم أمـام ظروف الحياة السيئة، و إن يمض العمر و يمت العصفور.

في قصيده «رحيل» تشتدّ الظروف على فاروق الرومانسي حيث أحلامها العنيدة لم تتمكن مـن المقاومة: «و الطفل مات من الشتاء/ و البيت أصبح خاليا/ أثوابنا و تمزّقت/ أحلامنـا و تكـسّرت/ أيامنا و تآكلت» (م ن، ۵۸).

فمن شدة البرود و الثلج الحاكمين على المجتمع، ساد الموت، تكسّرت الحياة و أحلام الشاعر فهو يذهب أن يشك في فائدة الحلم فيخاطب حبيبه: «هل ترى.../ يشفى جريح من جريح/ حلمـي و حلمك يا حبيبي» (م ن، ۶۱) و في قصيدة «لأنّي أحبّك» يقول الشاعر: «أتينا الحياة/ بحلم بـريء/ فعربد فينا زمانٌ بخيل» (م ن، ۹۴) ثمّ يذكر ما حلم به في حياته: «حلمنا بأرض/ تلـمّ الحيـارى/ و تأوى الطيور/ و تسقى النخيل» (م ن، ۹۶) فهو كان يأمل بأرض سخيّة تـشمل ألطافهـا جميـع الكائنات. ثم يواصل: «حلمنا بنهرٍ عشقناه خمراً» لكنّه حلمه خانه: «رأينا يوماً/ دماءً تسيل» (م ن، ۹۶).

أما الشاعر الرومانسي مرة أخرى يعود إليه حلمه العنيد و المستحيل و ينجيه فيخاطب: «تعـالي ففي العمر/ حلم عنيد/ فمازلت أحلم/ بالمستحيل» (جويدة، ۱۹۸۲م، ۹۸) فهو يحلم و لـو كـان مستحيلاً.ثمّ يؤكد على الاستمساك بالحلم: «تعالي لننسج/ حلماً جديـداً/ نـسميه للنـاس/ حلـم الرحيل»(م ن، ۱۰۲)

و من جديد يؤكد الشاعر الحالم على اللجوء بالحلم في مضايق الحياة: «و قلنا أنّنا يوماً/ سننسج/ من ظلال الحزن/ أحلاماً تعزّينا/ إذا تاهت مدينتنا/ و جفّ النهر/ بين ضلوع وادينا/ و عاد الخـوف/ بالأحزان يقهرُنا» (م ن، ۱۳۱-۱۳۲)

هو يأمل بتعزية الأحلام حين اشتدّت عليه الظروف الإجتماعية و الطبيعة و هو يسلّى بها: «تعالي كعبة الأحلام/ ما أشقى لياليا/ لننسج من ظلال/ الليل صبحاً/ و نبني من رماد/ الحلم حلماً» (م ن، ۱۳۸-۱۳۹)

فالشاعر أبداً لايخلو قلبه من الحلم بل كلّما يضيع حلمه في ظروف الحياة، يولد حلم جديد لديـه يساعده في استمرار الحياة و المقاومة أمام الصعوبات. و في قصيدة «ما عاد الحلم ... يكفي» يبلـغ فاروق ذروة الحلم حيث يسمّي نفسه حلماً: «حلم أنا/ هل تكرهين مواكب العشّاق/ و الأشـواق

ترقص في ركاب الحلم/ و الزمن الجميل المنتظر...» (جويدة، ١٩٩٦م، ١٣٠) كما يعتقد الشاعر بأنّ الحلم موكب العشاق و الشوق في ركابه يرقص و الزمن الجميل يوجد فيه أي كل جميل و منشود لايراه في الواقع يجده عند الحلم.

الشاعر بمشاهدة الظروف السائدة في المجتمع و الحياة يتردد في الحلم مرة أخرى: «من أين يأتي الحلم/ و الأشباح ترتع حولنا/ و تغوص في دمنا/ سهام البطش... و القهر الطويل» (م ن، ١٤٥)

الشاعر لايرى طريقاً للحلم بما أنّ الموت و الخوف و القهر يحيطه و هو لايرى له نجاحاً ثم يقول: «لكن كلُ أحزاني جراحٌ/ أرهقت قلبي العليل.../ مابين حلمٍ خانني...» (م ن، ١٤٧) فيصل في نهايه المطاف إلى أن حلمه قدخانه.

و في ديوان «دائماً أنت بقلبي» حلم قد سافر من الشاعر: «فالحلم سافر من سنين/ و الشاطئ المسكين/ ينتظر المسافرَ أن يعود/ و شواطئ الأحلام قد سئمت كهوف الانتظار» (جويدة، ١٩٨١م، ٧٧) كما اعتاد أن يعود إلى الترديد في الحلم: «و يبقى السؤال.../ لماذا أتيت/ إذا كان حلمي/ غداً سوف يصبح/ بعض الرمال...؟» (م ن، ٨٧) يامن جويدة من تحقيق حلمه و يسأل إذا نهاية حلمه هو الرمال فلماذا أتيت إلى الدنيا و يؤكد على ترديده بهذا السؤال: «أترى يفيد الحلم/ في زمن الشقاء» (م ن، ١٢٤).

تارة أخرى يتذكر الشاعر أحلامه الماضية: «كانت أحلاماً يا قلبي/ أن يسقط سجن مدينتنا/ أنقاضاً/ فوق السجان/ أن أصبح فيك مدينتنا إنساناً مثل الإنسان» (م ن، ١٣٨) فهو كان يحلم بأن تتحرر مدينته من القيد و السجن و يتنفس في الحرية و هو يعيش فيه كالإنسان ولكن: «صلبوا الأحلام/ على قلبي» (م ن، ١٣٢) لكن أحلامه لم تتجاوز قلبه و لم ير لون الواقع بل دفنت فيه.

في ديوان «زمان القهر علّمني» يعود الشاعر إلى الحلم مرة أخرى و يغرسه في أرض قلبه: «أحلامنا لم تزل/ في الطين نغرسها/ إن يرحل العمر/ ما للحلم ترحيل» (جويدة، ١٩٩٠م، ٣٥) فلا نهاية لحلم الشاعر و هو دائماً يجدده.

كما في ديوان «لن أبيع العمر» يصوّر نفسه كبائع الأحلام: «لاتسألوني الحلم/ أفلس بائع الأحلام/ ماذا أبيع لكم/ و صوتي ضاع/ و اختنق الكلام» (جويدة، ١٩٨٥م، ٢٦) و في قصيده «عادت سفينة الاحلام» ترسم نهاية جميلة للحلم: «اليوم عاد البوح يرقص/ في الحنايا مشرقاً بين الضياء/ و سفينة الأحلام عادت/ تحمل البشرى و تأتي/ سأظلّ يا تاريخ معجزة السماء/ فأنا قناة المجد

يا تاريخ هدى الأشقياء» (جويدة، ٢٠١١م، ٨٧) فحلمه يتحرك في عالمه و يعيش من جديد و يأتى إليه بالرخاء و السكون.

الأمل

الشاعر الرومانسي في الهروب من الواقع الحاضر و آلامه المحيطة به يلجأ إلى الحلم كما رأينا سابقاً، و في عالم الأحلام يأمل عالما جديدا غير ما يعيش فيه، ففيه يصوّر آماله و أمنياته و يلوّنه بلون الواقع. فاروق الرومانسي تعلّم الأمل بالمستقبل من أمّه في طفولته: «مازلت أذكر صوت أمّى/ عندما كانت تغني الليل/ تحملني إلى أمل بعيد/ كانت تقول بأنّ جوف الليل/ يحمل صرخة الصبح الوليد/ و غداً ستولد من جديد» (جويدة، ١٩٨١م، ٩٦).

الأمّ تعلّمت الولد أنّ الليلة بظلمتها الليلاء ستحمل في بطنها ولد الصبح فنور الصبح يطلع من عمقها، و على الرغم من القلق و القسوة و الفجور يصل الغد أفضل من اليوم الحاضر. و الابن تعلّمَ درس الأمّ و لاييأس بل يعيش آملا: «مازلت يا أمّاه انتظر الوليد/ رغم الضياع/ و رغم عناوني الطريد/ إنّي أرى عينيه خلف الليل/ تبتسمان بالزمن السعيد/ و الأرض يعلو حلمها/ و الناس... تنتظر الوليد» (جويدة، ١٩٨١م، ١٠٧- ١٠٨).

يؤكد جويدة على اعتقاد أمّه و يقول أنّني على الرغم من كل السيئات السائدة في الحياة الحاضرة و على الرغم من ضياعي و تشرّدي أعتقد بأنّ الزمن السعيد سيصل، و يوماً سنخرج من الظروف الحالية و ما نعاني منه.

فاروق في قصائده الجديدة يتحدث عن آلام الإنسان المعاصر و ما يعاني منه من الاستبداد و الاستعمار و يخاطب بغداد المحتلّة: «بغداد لا تتألمي/ مهما تعالت صيحة البهتان/ في الزمن العمي/ فهناك في الأفق البعيد صهيل فجر قادم/ في الأفق يبدو سرب أحلام/ يعانق أنجمي/ مهما توارى الحلم عن عينيك/ قومي... و احلمي/ و لتنثري في ماء دجلة أعظمي/ فالصبح سوف يطلّ يوماً/ في مواكب مأثمي» (جويدة، ٢٠١٢م ،من قال إنّ النفط أغلى من دمي).

فجويدة على الرغم من كل ما يعاني منه شعب العراق من الذلة و الجوع و الحرمان و سلطة الحكام الطغاة يبشّر بطلوع صبح جديد و يدعو بغداد لكي لاتنفصل عن الحلم و دائماً تكون في صلة معه. و مهما اشتدّت الظروف و مهما طال الظلم، سيطلع الصبح. و في مسألة القدس يقول فاروق: «رغم انطفاء الحلم بين عيوننا/ سيعود فجرك بعد طول الغياب» (جويدة، ٢٠١٢م، هذا عتاب الحب للأحباب)

مرة أخرى يتصل الشاعر بين الحلم و الأمل و يقول و إن ضاع الحلم لديك و إن يئست من تحقيقه يصدق أنّ الصبح آتٍ و الفجر متى يطول الزمن يطلع من جديد علينا.

و في قصيده «سيجئ زمان الأحياء» يصف الشاعر الظروف السائدة على المجتمع الإنساني و معاناته و آلامه لكنه على الرغم منها يتمسك بالأمل: «مازلت أقول/ إنّ الأشجار و إن ذبلت/ في زمن الخوف/سيعود ربيع يوقظنا بين الأطلال/ إنّ الأنهار و جبنت في زنّ الزيف/... سيجيء زماناً يحييها رغم الأغلال/ ... مازلت أقول لو ماتت كلّ الأشياء سيجيء زمان يشعرنا... أنّا أحياء/ و تصيح عليها الأشلاء/ و يموت الخوف.. يموت الزيف.. يموت القهر/ و يسقط كلّ السفهاء/ و لن يبقى سيف الضعفاء» (جويدة، ٢٠١٢م، سيجيء زمان الأحياء).

الشاعر منتظر ليوم يصل فيه الربيع و يخرج الطبيعة من الخمود و الشتاء و يشعر الناس بالحيوية و الحياة و هم بعد مدة طويلة يحسّون بأنهم أحياء. و الشاعر يأمل بظهور يوم ينفذ فيه كل السلبيات و ما يؤلم الإنسان من الخوف و القهر و التزيف و يسلط فيه الفقهاء على السفهاء. يؤكد الشاعر على اعتقاده برجوع الصبح بعد ليلة طويلة و يخاطب ابنته «مازال في خاطري حلم يراودني/ أن يرجع الصبح و الأطيار و الغزل/ سلوان يا طفلتي لاتحزني أبداً/ أنّ الطيور بضوء الفجر تكتحل/ مازلت طيراً يغني الحبّ في أمل/ قد يمنح الحلم... ما لايمنح الأجل» (جويدة، ٢٠١٢م، سلوان لاتحزني)

يصوّر الشاعر لابنته تصويراً رائعاً رومانسيا فيه يطلع الصبح و معه الأطيار و الغزل و الغناء و هو آمل بأن حلمه يتحقق يوماً و يعطيه تمنياته.

و في قصيدة «و يمضي العمر» يتحدّث عن مضامين رومانسية و يحزن على ضياعها و لكنّه مازال آملاً و يعتقد أن يوماً يميل الدهر إليه و يلاطفه و يعيد إليه الحبّ و الوصال: «و يمضي العمر... يا عمري/ و أشعر أنّ في الأيام يوماً سوف يجمعنا/ و أنّ الحبّ رغم البعد سوف يزورنا مضجعنا/ و أنّ الدهر بعد الصدّ سوف يعود يسمعنا/ و يمسح في ظلام العمر شكوانا ... و أدمعنا» (جويدة، ٢٠١٢م، و يمضي العمر)

و في قصيدة «قد نلتقي» يخاطب الشاعر حبيبته و يذكر له أمله بالمستقبل و إن كان بعيداً غير معين: «لاتجزعي/ لاتجزعي إن كانت الأيام قد عصفت بنا/ فغدا يعود لنا اللقاء/ و تعود أطيار الربى/ سكرى تحلق في السماء» (جويدة، ٢٠١١م، ٢٢).

فالشاعر يتمنى و يأمل أن يكون الغد أفضل من اليوم و بعودة الذكريات الماضية الجميلة يخاطب طفله: «يا طفلنا المحبوب لاتخش النوى/ ...فغدا سيجمعنا الربيع و نلتقي/ ... و نراك في الثوب الجميل الأزرق/ ... و نراك كالعمر القديم المشرق» (م ن، ٢٤).

و في قصيدة «بقايا أمنية» يؤكد على اللقاء في الربيع: «مازال في قلبي بقايا ... أمنية/ أن نلتقي يوماً و يجمعنا... الربيع/ أن تنتهي أحزاننا/ أن تجمع الأقدار يوماً شملنا» (جويدة، ٢٠١١م، ٢٥).

فاروق جويدة واقعيا

جويدة في قسم آخر من قصائده يظهر مختلفاً كل الاختلاف عن الصورة المقدمة سابقاً فنراه أن ظروف المجتمعات الإسلامية و العربية تتجلّى في شعره واضحة فهو يحزن و يتألم متكافئاً للشعوب العراقية و المصرية و الجزائرية و يضيق صدره لما يجري فيها و يبكي معها. من محاور الواقعية يمكن الإشارة إلى المضامين التالية:

الدعوة إلى القيام و النهوض في البلاد الإسلامية– العربية:

الشاعر يفتح عينيه و ينظر إلى البلاد العربية و الإسلامية و ما يجري فيها من الظلم و الجور و الاستبداد و الطاغوت و يدعو الشعوب العربية إلى القيام على ظروفهم المعيشية في مجتمعاتهم. ففي قصيده «اغضب» يخاطب أبناء فلسطين و العراق و يحثّهم على النهوض، و بداية النهوض في رأيه هو الغضب: «غضب... فإنّ الله لم يخلق شعوباً تستكين/ اغضب فإنّ الأرض تحني رأسها للغاضبين» (جويدة، ٢٠١٢م، اغضب).

الظروف السائدة في البلاد الإسلامية لاتناسب شأن أي شعب و لذا عليها أن تغضب أمامها و تقوم فبقيامها تستسلم الأرض أمامها و هي تصل إلى ما تريده.

ثمّ لحثّ أبناء العراق يستفيد مما يجري فيها من الجوع و الحرمان: «اغضب إذا لاحت أمامك../ صورة الأطفال في بغداد/ ماتوا جائعين» (م ن، اغضب) ثمّ ينتقل إلى أبناء فلسطين «اغضب فإنّ جحافل الشرّ القديم../ تطلّ من خلف السنين/ و اسأل ربوع القدس عن أمجادها/ و اسأل ثراها عن صلاح الدين» (م ن، اغضب).

و الله لايرضى بظروفكم الحالية فلذا لابتغاء مرضاته يجب عليكم أن لاتستسلموا أمام الطغاة فاغضبوا، ثم يدعو إلى الهجمة على الرجال الأذلة الذين لايمتلكون عزما و إرادة و هم سبب لعجز الشعوب. «أُبصُق على وجه الرجال/ فقد تراخى عزمهم/ و استبدلوا عزّ الشعوب/ بوصمة العجز الذليل» ثمّ ينسب كلّ الأشياء إلى الغضب: «اغضب.../ فإنّ بداية الأشياء/ أولها الغضب/ و نهاية الأشياء آخرها الغضب» (جويدة، ٢٠١٢م، اغضب).

فهو يرى أن الغضب بداية مسير الشعوب و هم لايبدؤون بالحركة إلا بالغـــضب، إذن علـــيهم الغضب على ما يعيشونه.

فاروق الواقعي بعد فلسطين و العراق ينتقل إلى مصر و الجزائر و يحثّ أبناءهما بالنهوض ولكنّـــه أسلوبه يختلف مماسبق: «هنا كان مجد... و الأطلال ذكرى/ و شعب عريق يسمّى العرب/ و يا ويلهم بعد ماض عريق/ يبيعون زيفاً بسوق الكذب/ و منذ استكانوا لقهر الطغاة/ هنا من توارى... هنا من هرب/ شعوب رأت في العويل انتصاراً/ فخاضت حروباً بسيف الخطب» (جويدة، ٢٠١٢م، تبقين يا مصر فوق الصغائر).

فهو يتذكر مجد العرب الماضي و ما كانوا عليه من الشموخ و العلا أولاً ثم يصف حالهم في العصر الحاضر لكي يصور البون الشاسع بين عرب الأمس و عرب اليوم و يستيقظوا من النوم. ثم ينقد نوع تعاملهم بالمشاكل فمنهم من اختفى من المشاكل و المصائب و منهم من فرّ والذين بقـــوا و بـــدل المقاومة و الجهاد لجؤوا إلى العويل و الجزع و عقدوا مؤتمرات و لحل المشاكل تحدّثوا عنها فحسب.

هذه الفقرة تذكرنا بالمضامين الواردة في شعر نزار قباني السياسي منها « أحاولُ منذُ بدأتُ كتابةَ شِعْري/ قياسَ المسافةِ بيني وبين جدودي العربْ/ رأيتُ جُيوشـــا...ولا مـــن جيـــوشْ.../ رأيـــتُ فتوحا...ولا من فتوحْ.../ وتابعتُ كلَ الحروبِ على شاشةِ التلْفزة.../ فقتلى على شاشة التلفزة.../ وجرحى على شاشة التلفزة.../ ونصرٌ من الله يأتي إلينا...على شاشة التلفـــزة...» (أدب، ٢٠١٣م، متى يعلنون وفاة العرب) و هذا المضمون في قصائده «بلقيس، قانا و المهرولون» أيضاَ متجلٍ.

ثم لتحريض الشعوب، يستفيد الشاعر من الشهداء و منزلتهم لدى الناس: «شهداؤنا خرجوا مـــن الأكفان/ وانتفضوا صفوفًا، ثم راحوا يصرخون../ عارٌ عليكم أيها المستسلمون../ وطنٌ يُباع وأمـــةٌ تنساق قطعانا../ وأنتم نائمون../ شهداؤنا فوق المنـــابر يخطبـــون../ قـــاموا إلى لبنـــان صـــلّوا في كنائسها../ وزوروا المسجد الأقصى../ وطافوا في رحاب القدس../ واقتحموا السجون..» (جويدة، ١٩٩٨م، ٤٨ و مابعدها) ثم يستفيد لتحريض همم الشعب من كلام أكثر لذعاً «شهيد مـــع الفجـــر صلّى... و نادى/ و صاح: أفيقوا كفاكم فساداً/ لقد شردتم هموم الحياة/ و حين طغى القهر فـــيكم تمادى/ و حين رضيتم سكون القبر/ شبعتم ضياعاً... و زادوا عناداً/ و كم فارق الناس صبح عنيد/ و في آخر الليل أغفى و عادا»(جويدة، ٢٠١٢م، تبقين يا مصر فوق الصغائر).

الشهيد يوبّخ الناس بسبب رضاءهم بحياة لم تخلُ من التشابه بالموت كأنهم يعيشون في القبـــور و لايوجد لديهم أمل و همة ثم يستمر في قوله و ندبه: «و طال بنا النوم عمراً طويلاً/ و ما زادنا النوم... إلّا سهداً» نومنا و غفلتنا قد طال بكثير و لم يكن حاصله إلّا السهاد و السهر، فلماذا مازال النوم؟!

وصف ظروف الشعوب

فاروق الواقعي في قصائده الواقعية يتطرق إلى ظروف الشعوب في المجتمعات الإسلامية عامة و العربية خاصة و يصفها من الأبعاد الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية و ينقدها. ففي قصيده «من قال إن النفط أغلى من دمي»، يصف ظروف العراق عامة و الإقتصادية خاصة و أولاً يصفها دينيا: «نرى على رأس الزمان عويل خنزير قبيح الوجه/ يقتحم المساجد و الكنائس و الحصون/ و حين يحكمنا الجنون/ لا زهرة بيضاء تشرق/ فوق أشلاء الغصون/ لا فرحة في عين طفل/ نام في صدر حنون/ لا دين... لا إيمان... لا حقّ/ و لا عرض مصون/ و تهون أقدار الشعوب/ و كلّ شيء قد يهون/ مادام يحكمنا الجنون» (جويدة، ٢٠١٢م، من قال إنّ النفط أغلى من دمي)

تحتقر معتقداتنا الدينية من الإسلامية و المسيحية تحت أقدام الخنزير و هو يلوّث مقدّساتنا، ثم ينقد الشاعر حكومة الجنون على الناس و انسلاخهم عن التعقل فلذا قد تتشوه الحياة و الطبيعة فلا زهرة تنمو و لا طفلة تضحك و كلّ المعنويات زالت في المجتمع.

ثم ينتقل إلى الظروف الإجتماعية و ما يجري في العراق من القتل و الدمار و الخراب و الجوع و الحرمان، و أطفال بغداد الحزينة يسألون: «عن أي ذنب يقتلون/ يترنّحون على شظايا الجوع/ يقتسمون خبز الموت... ثمّ يودعون/ شبح الهنود الحمر يظهر/ في صقيع بلادنا» (جويدة، ٢٠١٢م، من قال إنّ النفط أغلى من دمي).

ينقد الشاعر قتل الأطفال الأبرياء في العراق بيد المحتلّين و جوعهم، ثمّ يصوّر ما يقع في العالم من الجوع و دمار الشعوب و قتل المصلّين و ينقد تقليب القيم و الأعاريف: «هل صار تجويع الشعوب/ وسام عزّ و افتخار/ هل صار قتل الناس في الصلوات/ ملهاة كبار؟/ هل صار قتل الأبرياء/ شعار مجد... و انتصار؟!/ أم أنّ حقّ الناس في أيامكم/ نهب و ذلّ ... انكسار/ الموت يسكن كلّ شئ حولنا/ يطارد الأطفال من دار ... لدار» (م ن، من قال إنّ النفط أغلى من دمي).

ثم بعد نقد الحكام و الدول ينتقل إلى وصف الشعوب العربية و نقدها: «هذي شعوب قد رأت في الصمت راحتها/ و استبدلت عيرها بالخيل أزماناً/ هذي شعوب قد رأت في الموت غايتها/ و استسلمت للرأي ذلّاً و طغياناً/ تبكى على العمر فى أرض يلوّثها/ رجس الفساد فتعلى القهر سلطاناً» (م ن، كأنّ العمر ما كانا).

هذه الشعوب يصعب عليها الاعتراض و المخالفة؛ فلذا لاتخرج على الظروف السائدة في مجتمعاتها بل أخذت براحتها و تسكت تجاه المشاكل، هي تميل إلى الموت و تراها غاية لها من الذلّ و الاحتقار فالشاعر يشكو من خمود الشعوب و خمولها. ثم يخطو خطوة أخرى فلايقتنع بنقض السكوت و

الغضب بل يتوقع أكثر من هذا و يقول الذلة لايزيلها الغضب فحسب: «من قال إنّ العار يمحوه الغضب/ و أمامنا عرض الصبايا يغتصب» (م ن، ما عاد يكفينا الغضب)

ثم يصوّر ما يجري في البلاد العربية و خاصة قضية فلسطين و احتلالها بيد الصهانية: «مابين خنزير يضاجع قدسنا/ و مغامر يحصي غنائم ما سلب/ شارون يقتحم الخليل و رأسه/ يلقي على بغداد سبلاً من لهب/ و يطلّ هولاكو على أطلالها/ ينعى المساجد... و المأذن... و الكتب» (م ن، ما عاد يكفينا الغضب) في بيان هتك الحرمات الدينية يكتفي الشاعر بذكر ثلاث كلمات و ربما هذا يشعر بأنّه يضيق صدره بهذه الفجائع و انكسر قلبه حيث لايطيق التحدث عنها بل يذكر كلمات و خلفها صورا مؤلمة.

و في نهاية القصيدة لتصوير شدة المأساة يقول: «صلبوا الحضارة فوق نعش شذوذهم/ يا ليت شيئاً غير هذا قد صلب»

الشاعر يتمنى في نهايه التحسر ليت المصلوب كان غير الحضارة و المعنويات بما أنها قيمة و لايجزي عنها أيّ شيء آخر و خلقها من جديد يحتاج إلى الزمان الطويل و الطاقات الكثيرة.

ساقي الحزن أيضا يتعجب من كثرة الحزن و الألم في وطن الشاعر فيخاطبه الشاعر: «يا ساقي الحزن لاتعجب في وطني/ نهرٌ من الحزن يجري في روابينا» (جويدة، ٢٠١٢م، مرثية حلم).

فهو في البحث عن حلّ و الاستمداد و التسلّي يلجأ إلى النبي الأعظم (ص) و يصف له ظروف البلاد و يخاطبه: «يا جامع الناس حول الحقّ قد وهنت/ فينا المروءة أعيتنا مآسينا/ بيروت في اليم ماتت قدسنا انتحرت/ و نحن في العار نسقى و حلنا طيناً/ بغداد تبكي {...}/ هذي دمانا رسول الله تغرقنا/ هل من زمان بنور العدل يحمينا؟» (م ن، مرثية حلم)

يصف له أن البلاد الإسلامية تتلون بلون دماء أبناءها و يسود عليها العار و الذلّ و الاحتقار. ثم يتحدث مع الرسول عن أوضاع القضايا الدينية في العصر الحاضر «القدس في القيد تبكي من فوارسها/ دمع المنابر يشكو للمصلينا/ حكامنا ضيعونا حينما اختلفوا/ باعوا المآذن و القرآن و ديناً/ حكامنا أشعلوا النيران في غدنا/ و فرّقوا الصبح في أحشاء وادينا» (م ن، مرثية حلم)

حكام البلاد الاسلامية أدبروا على الشرائع الإسلامية و خانوها، هم ضيعوا يومنا الحاضر، بل لم يبقوا لنا مستقبلاً و تسيل القدس و المنابر الدموعَ على ما أصبنا به.

و في قصيده «الصبح حلم لا يجيء» يصف لنا الشاعر الظروف الإقتصادية و الإجتماعية: «من ألف عام/ و الزمان على مدينتنا صقيع/ نهر الدموع يطارد الأحياء/... يهرب بعضنا/ و البعض يمشي

في القطيع/ قالوا بأنني قد ولدت/... و في مدينتنا مجاعة/ و الناس تشرب من دماء الناس/ إن خلت البطون/... و الجوع مقبرة يحاصرها الجنون» (جويدة، ١٩٨١م، ٩٣-٩۴)

يعاني الشاعر من الجوع و الحرمان السائدين على المجتمع حيث الناس يتآكل بعضه من بعض و يشرب دماء بعض، و الناس في حياتهم قد أصبحوا مأنوسين بالدموع و البكاء من شدة ما يعيشون فيه.

بعد النبي (ص) يلجأ الشاعر إلى الإمام الحسين (ع) لكي يسلّي نفسه بالشكوى لديه عمّا يجري في العصر الراهن: «جئنا رحابك يا حسين/ جئنا إليك لنشتكي أرضنا/ رحيق العمر فيها للغريب/ تعطي الدموع لأهلها/ و الفرح فيها...للغريب/ و تعلم الأحباب من ثدي الأسى طعم الحجود/ أن يخنق الأنسان صوت حنينه/ أن يقتل النجوى و تحترق العهود/ أن تصعق الأحلام آلاف سدود» (جويدة، ١٩٧٩م، ۵٧)

فرحاب الحسين (ع) محطّة ينطلق الشاعر منها و يستريح عندها لينطلق مرة أخرى إلى الإفضاء بهموم ذاته و واقع أمته، هذه الفقرة تمثل فرار الشاعر إلى الحسين (ع) يلوذ به كي يخلصه و يخلص الأمة من هذا الواقع (محمد عبدالرحمن، ٢٠٠۴م، ١٧٢). هو يشتكي لدى الحسين (ع) عن توسع القضايا السلبية و غربة المعنويات في الأرض لايذوق أهلها طعم الفرح و السرور بل كل ما يذوقه مرارة الدموع، في أثناء المناجاة يتردد الشاعر و لايدري عمَ يشتكي: «هل نشتكي أقدارنا/ أم نشتكي أوطاننا/ أم نشتكي أحلامنا/ أم نشتكي أيامنا/ أم نشتكي... أم نشتكي... أم نشتكي؟» (جويدة، ١٩٧٩م، ۶١-۶٢)

الشاعر يعلم أن لديه شكوى من الظروف الحاضرة و هي لاترضيه و لاتمنعه ولكنه لايعلم كون الظروف هكذا إلام يعود و السبب ما هو؟

فاروق يهرب من عالم الواقع إلى عالم الرؤيا و يرى أن الأنبياء مرة أخرى عادوا إلى العالم فيشكو لديهم و يرسم العصر الحاضر عند عيونهم فيخاطب عيسى النبي (ع): «عيسى رسول الله/ يا مهد السلام/ هذي قبور الناس/ ضاقت بالجماجم و العظام/ أحياؤنا فيها نيام/ و على جبين الياس/مات الحبّ و انتحر الوئام/ الحق مصلوب مع الأنفاس في دنيا الدجل/ و الحبّ في ليل الدراهم/ و المخابئ و المباحث لم يزل/ يشكو زماناً يسحق الإنسان فيه بلا خجل» (جويدة، ١٩٨١م، ٣٢-٣٣)

هو يشكو من خمول الناس و خمودهم كأنهم نيام في القبور و الحق قد صلب في دنيانا هذه و كل ما بقي فيها هو الباطل و العبث. و يدتم شكواه لدى محمد (ص) و يشتكي من احتقار الإنسان في

العصر الحاضر و الحرمان السائد عليه «أهلاً رسول الله/ يا خير الهداة الصادقين/ أنا يا محمد قد أتيتك/ من دروب الحائرين/ فلقد رأيت الأرض/ تسكر من دماء الجائعين/ و الناس تحرق في رفات العدل/ مات العدل فينا سنين/ أنا يا رسول الله طفلٌ حائرٌ من يرحم الآباء من يحمي البنين/ الناسُ تأكلُ بعضَها/ هذي لحوم الناس نأكلها و نشرب خلفها/ و مع الحيارى المتعبين» (جويدة، ١٩٨١م، ٣٦-٣٧)

ثم يخاطب موسى النبي (ع) و يقول: «أنّ القتل و السجن قد كثرا و المشنق يستعمل بكثير حتى في الأطفال: «الأرض يا موسى تضجّ من الجماجم و السجون/ أطفالنا عرفوا المشانق/ ضاجعوا الأحزان/ في زمن الجنون» (م ن، ٢٩-٣٠)

المقاومة:

من المضامين الواقعية التي تتجلى في قصائد فاروق جويدة هي المقاومة و عدم الاستسلام، هو يلتمس من أبناء الشعوب العربية أن لايستسلموا أمام الأعداء و الطغاة بل يقاوموا لكي يصلوا إلى الظفر و الفوز. في قصيده «إلى آخر شهداء الانتفاضة» يحثّ الشاعر على الصمود و لو تأدّى إلى الموت و الاستشهاد؛ إذ إن الاستشهاد في رأيه ليس موتاً و زوالاً بل حياة مستمرة لا انقطاع لها فيخاطب الشهيد: «مت صامداً/ حتى و لو هدموا بيوت الله/ و اغتصبوا المآذن/ حتى و لو حرقوا الأجنة/ في البطون/ و عربدوا وسط المدائن/ حتى و لو صلبوك حيا... لاتهاون/ لن يستوى البطل الشهيد/ أمام مأجور و خائن؟/ كن قبلة فوق الخليل/ كن صلاة في المساجد/ زيتونة خضراء تؤنس/ وحشة الأطفال/ حين يقودهم للموت حاقد/ كن نخلة/ يساقط الأمل الوليد على رباها/ كلما صاحت على القبر الشاهد» (جويدة، ٢٠١٢م، إلي آخر شهداء الانتفاضة)

يقول الشاعر مت لا على سبيل الاستسلام بل على سبيل المقاومة و الجمود و الصمود، لاتترك الصمود و إن خربوا بيوت الله و احتلّوا المساجد، بما أنك لن تموت و إن صلبوك حيا إذ إنك اسمك يبقى خالداً لأنّك و أتباعك باستشهادكم تعيدون الصلاة إلى المساجد و تصبحون أسوة للمقاومة.

و في قصيدة «يا زمان الحزن في بيروت»، يخاطب الشاعر بيروت و يجمع بين الظروف الراهنة و الصمود و يقول لها: «برغم الحزن و الأنقاض يا بيروت/ مازلنا نناجيك/ برغم الخوف و السجان و القضبان/ مازلنا نناديك/ برغم القهر و الطغيان يا بيروت/ مازلت أغانيك» (جويدة، ١٩٨٣م، ٩٥) يبينا لنا أنّ الحزن و الخوف و السجن لايمكنها أن تمنعنا من حبّك و الغناء إليك و نحن نحبّك إلى موتنا و أنت حاضرة في أغانينا و قصائدنا و لاننساك أبداً.

الوطن

من المضامين الهامّة التي يهتمّ بها الشاعر فاروق جويدة في قصائده خاصة في التي أنشدت بعد سنة ٢٠٠٠ م، هو الوطن. و في الأشعار الوطنية لفاروق يتجلى نيل تجليا بارزاً؛ هو عند الشاعر مظهر مصر في قصيده «طيورك ماتت» يناجيه الشاعر «ترى من نعاتب يا نيل قل لي/ و ما عاد في العمر وقت/... لنعشق غيرك/ أنت الرجاء/ أنعشق غيرك؟/ و كيف و عشقك فينا دماء/... تعود و تغدو بغير انتهاء» (جويدة، ٢٠١٢م، طيورك ماتت) فخاطب نيلاً بأنّ حبّك كدمٍ يجري في وجودنا و نحن لانتستطيع العيش بالانقطاع عنك و لانستطيع أن نحب غيرك عوضاً منك؛ بما أنّك هي التي تعطينا الأمل و الرجاء و تحنّنا على الحياة.

و في قصيده «عشقناك يامصر» يؤكد الشاعر على حبّه للوطن المصري و يقول أن حبّ مصر جار في كلّ عضو من جسدهم و مهما طال الحنين و الفراق لايذهل ذكرها عن قلوب أبنائها « حملناك يا مصر بين الحنايا/ و بين الضلوع و فوق الجبين/ عشقناك صدراً/ رعانا بدفء/ و إن طال فينا زمان الحنين» (جويدة، ٢٠٠٧م، ٨١)

ثم يدعو مصر إلى الصبر و التأمل على الظروف الحالية و يسلّيها بأن رغم الظلمة و الجرح و الألم في المجتمع تفوح رائحة مصر دائما و نشيدها و شبابها سيبقيان إلى الأبد و لا يزولان، و يدعوها إلى الغد لأنّ الأحلام ستتحقق يوماً فعليها الصمود: «فيا مصر صبراً على ما رأيت/ جفاء الرفاق لشعب أمين/ سيبقى نشيدك رغم الجراح/ يضيء الطريق على الحائرين/ سيبقى عبيرك بيت الغريب/ و سيف الضعيف و حلم الحزين/ سيبقى شبابك رغم الليالي/ ضياء يشع على العالمين/ فهيا اخلعي عنك ثوب الهموم/... غداً سوف يأتي بما تحلمين» (م ن، ٨٢).

و في قصيدة «أشتاق فيك» يحنّ للوطن و يحسب مصرا مأوى له لكي يلجأ إليها هرباً من القضاء و ما يحدث له من المصائب: «و أشتاق يا مصر عهد الصفاء/ و أشتاق فيك عبير العمر/ و أشتاق من راحتيك الحنان/ إذا ما رمتني سهام القدر/ و أشتاق صدرك في كلّ ليل/ يغنّي الحكايا و يسجى السحر/ و أشتاق عطرك رغم الخريف» (جويدة، ٢٠٠٧م، ٧٧).

و في قصيدة «نحن والحرمان» ينعكس الخطاب فمصر هي التي تخاطب الشاعر: «أنا مصر، يا ولدي عطاء دائم/ أنا غنوة عاشت بكلّ لسان/ الآن تسأل: هل مصير دمائنا/ غدر الرفاق و جفوة الخلان؟/ أقسى عذاب العمر عهد خادع/ أو ظلم أهل أو ضياع أماني» (م ن، ٥٤).

يشكو الوطن من مصير دماء أبنائه، بما أنّهم لم ينالوا ما سألوا لأجله بل أصيبوا بالغدر و الجفاء حيث تقول مصر أن أقسى عذاب العمر عهد قدخدع و ظلم الأصحاب و فقدت الأماني. ثم يصف

الشاعر عظمة مصر و يتذكر أسباب عظمتها: «يا سادة الأحقاد مصر بشعبها/ بتراثها بصلابة الإيمان/ مصر العظيمة سوف تبقى دائماً/ فوق الخداع... و فوق كلّ جبان/ مصر العظيمة سوف تبقى دائماً/ حلم الغريب و واحة الحيران/ مصر العظيمة سوف تبقى دائماً بين الورى فخراً لكلّ زمان/ يا من تريد الزعامة ويحكم/ مصر العظيمة كعبة الأوطان» (م ن، ۶۵).

يؤكد الشاعر على أنّ عظمة مصر تعود إلى شعبها، تراثها، صلابة إيمانها، و في رأيه هي أفضل الأوطان و قبلتها.

و في قصيدة «جراح» يتحدث الشاعر من الحزن و الألم السائدين على مصر و يتمنى زوال الأحزان عن ساحة مصر: «فمتى نعيد لمصر بسمة عمرها؟/ ما أتعس الدنيا مع الأحزان» (م ن، ۴۳) ثمّ يلتمس من أصحابه أن لايدعوا مصر محلاً للأوثان بما أنها مقدسة و لاينبغي أن يهتك حرمتها بالوثن: «مصر الحبيبة يا رفاقي كعبة/ لاتتركوها مرتع الأوثان» (م ن، ۴۳)

لكنّ مصر لم تبق على شأنها السابق بل خذلت و سادت عليها العاصفة و البرودة و الظلمة و غرقت في الذلّة و الاحتقار بحيث السماء التي كانت شاهدة على مجدها الماضي تبكي على سوء حالها: « تركناك يا مصر بين الصقيع/ تمزق فيك ليالي الشتاء/ و بين العواصف جسم نحيل/ يذوب و تبكي عليها السماء/ ووجهك يحنو علينا اشتياقاً/ يلملم عنّا الأسى و الشقاء» (م ن، ۲۶) فالشاعر يسلّيها و يعهدها بأنهم سينونها من جديد و هي لاتسأل الآخرين، المساعدة و العون و يتذكر لها عظمة شعبها العريق و يسألها أن تزيل الهمّ عنها و تأمل بالغد. «و شعبك يا مصر درع الزمان/ فلاتسألي غيره في البناء/ و لاتبكي حزناً على ما وهبت/ و لاتنظري حسرة الوراء/ فهيا اضحكي مثلما كنت دوماً/ فإنّك في الأرض سرّ البقاء/ أسأنا إليك قسونا عليك/ فهل تصفحين بحقّ السماء؟» (جويدة، ۱۹۷۹م، ۳۰-۳۱)

النتيجة

حصيلة هذه الدراسة هي أن فاروق جويدة في الجمع بين الرومانسية و الواقعية ينظر من منظر الإنسان بما هو قلب و عقل، و إحساس و تعقّل، فبقلبه يصوّر العالم المعنوي و الشعوري و ما فيه من الحبّ و الحزن و الألم و غيره من المشاعر و بعقله يرى عالم الواقع و المادّة و يتأمّل في وقائع عالم الخارج و ما يجرى فيه من المصائب و الفجائع و يربط بينهما.

و للطبيعة و مظاهرها دور مرموق في إجادة جويدة الجمع بين الرومانسية و الواقعية؛ في المذهب الرومانسي، الطبيعة مأوى الإنسان و مهربه من الواقع و هي التي تعانقه و تسلّي همومه و آلامه و

تحلّقه في عالم غير ما يعيش فيه، جويدة يستخدم هذه الميزة ممزوجة بالواقع فهو مظاهر الطبيعة لبيـــان الواقع و يعبّر عن أبشع القضايا الواقعية في صورة ملموسة دون أن يضجر القارئ من قرائتها بل يحثّ على الحركة و العمل من أجل تحقق ما صورّه . ففي شعر جويدة يخدم المذهبان بعضه البعض.

المصادر و المراجع

- جويدة، فاروق، (١٩٧٩م). «***في عينيك عنواني***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٨١م). «***دائماً أنت بقلبي***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٢م). «***لأنّي أحبّك***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٣م). «***سيبقى شيء بيننا***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٥م). «***لن أبيع العمر***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٩٠م). «***زمان القهر علّمني***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٩٣م). «***آخر ليالي الحلم***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- ـــــــــــ ، (١٩٩٦م). «***ألف وجه للقمر***»، القاهرة: دار الغريب للنشر،ط١.
- ـــــــــــ ، (١٩٩٨م). «***لو أننا لم نفترق***»، القاهرة: دار الغريب للنشر، ط١.
- ـــــــــــ ، (٢٠٠٧م). «***و للأشواق عودة***»، القاهرة: دار الشروق، ط١.
- ـــــــــــ ، (٢٠١١م). «***حبيبتي لاترحلي***»، القاهرة: دار الشروق.
- ـــــــــــ ، بلا، «***الوزير العاشق***»، القاهرة: دار الغريب للنشر.
- محمد عبدالرحمن، إبراهيم محمد، (٢٠٠٤م). «***استدعاء شخصية الحسين بن علي في الـــشعر العربي الحديث***»، أطروحة لنيل درجة الدكتوراة، جامعة القاهرة.
- أدب: الموسوعة العالمية للشعر العربي (آوريل ٢,١٢)
http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=ssd&shid=10
- جويدة، فاروق: الموقع الرسمي (آوريل ٢٠١٢)
http://goweda.com/?cat=5